**كلمة الأستاذ داوود الصايغ**

**أيها الحفل الكريم،**

كان من قدره أن يقف باكراً على المشارف العالية. أدركته النعمة في تلك المدينة المبنية على جبل، وأرشدته الى المسالك القويمة.

كان سليم دكاش في ذلك على خطى الكبار الذين سبقوه في الخيارات الصعبة، تلك التي لا يتم ولوجها إلا من الباب الضيق. لأنه عرف مسبقاً الى أين يتجه. يسوعي في لبنان ومن لبنان. فالدعوة بدعوتين، لأن لبنان نفسه هو دعوة تمتزج بتلك الرسالة التي خطها دولويولا عام 1540، ورسم معها معالم الطريق أمام أولئك الجنود الذين عرفوا منذ البدء أنه ليس للأرض أقاصي، لا أقاصي الحدود الجغرافية ولا أقاصي الأفكار.

أدرك الأب سليم دكاش باكراًً، أن هنالك الآخر دائماً. فتكونت شخصيته عبر ذلك التلاقي الرحب. فكانت الإكتشافات متنوعة ساعد على الإرشاد إليها معلمون من الرهبنة العريقة التي كان لهم الفضل في إنشاء ذلك المعهد الأكليركي عام 1830 في غزير، مع بداية الحضور اليسوعي في لبنان. أو بالأحرى مع إستعادة الحضور إثر تأسيسهم مدرسة عينطورا في القرن السابع عشر، التي سلموا أمرها بعد ذاك الى الآباء اللعازاريين عندما قرر البابا كليمندوس الرابع عشر حل جمعية الآباء اليسوعيين عام 1773. لكن الزمن دار دورته بعد ذلك مع إنتخاب البابا فرنسيس، اليسوعي، على رأس السدّة البابوية عام 2013.

من سنوات التكوين تلك، من البوار حيث المنشأ الى غزير حيث التحصيل ثم الى بيروت، كان الإنفتاح على الأفكار غير التقليدية التي لاقت هوى بشكل خاص في نفس الطالب الشاب. واليسوعية كانت ولا تزال إصلاحاً وتجدداً، عبر التاريخ الطويل والحافل للآباء اليسوعيين الذين أغنوا الحضارة بإسهاماتهم المتنوعة، ليس فقط عبر ما تركوه في مجالات الفكر والفلسفة والعلوم على أنواعها، بل عبر حضورهم في المجتمعات المختلفة، وهو حضور لم يمر دون إستثارة المشاكل في وجوههم، وغضب بعض الحكام وبلاطات الملوك.

فتاريخ الآباء اليسوعيين هو تاريخ نضال. والنضال يتوارث في الضمائر، إذ لم يكن من السهل أن تبقى الشعلة متقدّة طوال قرون، بالرغم من مختلف أنواع المعاناة والأضطهاد والشهادة على الطريق حيث مجد الله هو دائماً الى الأمام وحيث الرسالة الأولى محفورة في النفوس : ‹‹إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم...››.

ولكن تلمذة الأمم لا تتم بعيداً عن شجرة المعرفة. لأن التبشير لا يجدي بدون العلم، والعلم متنوع. ولذلك تنوعت معارف الآباء اليسوعيين وتنوعت إختصاصاتهم. إذ ليس مع الآباء اليسوعيين نصف علم ونصف إختصاص. ليس معهم مقاربة المواضيع بشكل عابر. إنهم في العمق حيثما كانوا وحيثما

تحركوا لأن جنود المسيح هؤلاء كانت دعوتهم أوسع من الركون الى سكون الأديار ومناقشات المجامع، فقضيتهم كانت ولا تزال في أمكنة أخرى.

ولعله لأجل ذلك وجد الآباء اليسوعيون في التجربة اللبنانية مجالهم الأمثل. لأنهم إذا كانوا يفتشون عن الله في القلوب المتعددة، فليس هنالك أفضل من لبنان لهذا الحب المتعدد، لهذا التلاقي على اسم الله وبإسمه. فعندما انقسمت العاصمة في زمن الحروب، لم يجد اليسوعيون أي غضاضة في تجاوز الحواجز، فانتقلوا الى ما كان يسمى آنذاك بيروت الغربية لفتح فروع فيها. وكذلك في المدن الأخرى. فليست حرب عابرة في مسار التاريخ لتثنيهم عن عزمهم، وقد عرفوا كجماعات وكأفراد ما هو أقسى منها.

وهم بعد تأسيسهم لمدرسة غزير عام 1830، انتقلوا الى بيروت عام 1875 لتأسيس الجامعة اليسوعية (طب ولاهوت) ثم كلية الحقوق والهندسة عام 1913. ولكن أيضاً لجريدة البشير التي إستمرت بالصدور خمسة وسبعين عاماً، الى مجلة المشرق التي لا تزال تصدر حتى اليوم بإشراف الأب دكاش والتي سبق وأشرف عليها كبار مثل الأب لويس شيخو والأب هنري لامنس منذ عام 1898، الى مجموعة Mélanges منذ عام 1906، وكل ذلك من خلال المطبعة الكاثوليكية التي لعبت دوراً رائداً في النشر والطباعة في لبنان، ومن خلال التعليم الثانوي والجامعي.

وهكذا تخرجت أجيال من مدارس الآباء اليسوعيين وجامعاتها، لترفد النهر اللبناني بالعلم والإختصاص، ولكن أيضاً بالفكر الخلاق، والمدرك لحقيقة النموذج اللبناني وسبل الحفاظ عليه. بهذا المجال، فإن الآباء اليسوعيين أغنوا لبنان وتجربته ليس فقط بالعلم بل بالتميز والتفوق والريادة، يشهد على ذلك هذا الإقبال، لا بل هذا الإزدحام المتزايد على أبواب كلياتها ومدارسها، والتي آلت رعايتها منذ ست سنوات الى الأب سليم دكاش.

إذ لا بدّ من الإعتراف أنه مع الحضور اليسوعي بدأ دخول لبنان في مرحلة حضارية جديدة، وذلك عبر إكتساب الأجيال اللبنانية للوسائل الحديثة للمعرفة. وهو ما شكّل على كل حال الإسهام المعروف للآباء اليسوعيين في مختلف المجتمعات التي تفاعلوا معها على مرّ تاريخهم.

وكما الآباء الأوائل، كذلك كان الأب سليم دكاش مستعداً، وكيف لا وهو خريج المختبرين اليسوعي واللبناني. فانتفح بصورة طبيعية على العالمين العربي والإسلامي، وعلى تأصل الحضور المسيحي فيهما. وأدرك بالتالي أن المسيحي الشرقي واللبناني بشكل خاص، له واقع وهمّ منفصلان عن واقع وهموم المسيحي الغربي، فهو عميق الجذور في أرضه وفي هذا الشرق العربي، الذي توغل فيه الأب دكاش مكتشفاً من بين ما اكتشف إرث أبو راشد التكريتي اللاهوتي المسيحي العربي العراقي من القرن الثامن.

وطاب للأب دكاش أن يرجع باحثاً ومنقباً في ذلك الحضور الذي يرقى في أكثر من مكان الى أيام السيد المسيح، حضور أصيل ومتجذر، بالرغم من ضربات التاريخ الموجعة ومن السيوف الحاقدة التي استخرجت مؤخراً من غياهب الجهل والإجرام غير مميزة بين البشر والحجر، لتنقض أجيالاً من الإختلاط الخلاق والعطاءات المتبادلة في تاريخ الحضارة العربية.

ففي لبنان المختلف ذاك، حيث همّ المسيحي هو الحضور وليس الوجود فقط، أيقن الأب دكاش أن التجربة حتى تستمر في النجاح ومبررات الوجود، لا بدّ أن ترسو على القيم، على القيم المشتركة وهي قائمة وحاضرة ومعاشة يومياً، شرط أن تبقى هي القاعدة التي تثّبت الوجود اللبناني. في ثراء المجتمع، حتى بتناقضاته، شرط ألاّ يُحصر كل شيء في السياسة التي تبنى في الغالب على المصالح.

فلقد لحق الضرر بالكثير. إذ أن القاعدة الصلبة هي خارج الشعارات، فلم يعد هنالك سوى التربية، أي إعادة التأسيس من حيث يجب أن يكون، في بناء الأنسان الواحد وأن المختلف في العقيدة. إعادة التأسيس هذه لا تأتي من فوق ولا من التوافقات السياسية، ولا حتى من النصوص. فالأجيال الحالية تتربى على البعد والفرقة، وفي هذا كل الخطر للحاضر وللمستقبل. ولذا فهو تساءل في كتابه المرجع : هل يأتي الخلاص من المدرسة ؟

إنه يأتي منها بالطبع، يأتي من التربية، وأن أهل التربية مؤتمنون على القيم، تلك التي إنحدرت حتى في المؤسسات التقليدية التي كانت خاضعة لها. فوجد أن ما بين الوساطة والوسطية والمتوسط هنالك ما يجمع، فعبر عنها بالأحرف الفرنسية Med وهي نصف Mediation ونصف Méditerranée وان القيادة الحقيقية في لبنان المتنوع دينياً وثقافياً هي تلك القادرة على إحداث التقارب توصلاً الى تلك التسوية بمعناها النبيل.

**أيها الحفل الكريم،**

قديماً قيل عن شخص عالم أنه عالم مثل ماروني، فكيف إذا كان الماروني يسوعياً؟ علم على علم، وقيَم على قيَم، هذا ما يبقى لنا، والذي ينقض ما يجري على الصعيد السياسي.

ويزداد شعورنا بذلك ونحن نستحضر اليوم الذكرى العاشرة لغياب الرئيس إلياس الهراوي، الذي تحمّل المسؤولية الكبرى يوم حان موعد إعادة لبنان الى نفسه، بعد الدمار والحروب، مستنداً على الركائز اللبنانية الراسخة متسلحاً بالحكمة والصبر العالي، بصلابة أهل الأرض الملتصقين بتراب الوطن، وهو الإرث الذي تحمل لواءه السيدة منى الهراوي. تحية لذكراه، وتحية لسيدة الوفاء، راجين لها أن تتمكن دائماً من إظهار وجه لبنان الآخر، من خلال الوجوه المشرقة التي تكرمها، والتي تعبّر عن لبنان باصالته وديمومته وصموده الحقيقي. فلبنان هو هذه الوجوه، هو هذه المؤسسات، هو هذا المجتمع المعطاء النابض بالحياة، والذي لا قدرة لأي بابٍ من أبواب الجحيم المفتوحة حولنا حالياً، أن تقوى عليه.

**وشكـــراً**